التراث بين النقد والفلسفة

قراءة في مشروع محمد عابد الجابري النقدي

Heritage Between Critique and Philosophy
A Reading in Mohammed Abed Al-Jabri's Critical Project

إعداد

د. هادية صالح مشيخي

Dr. Hadya Saleh Mishikhi
أستاذ مساعد بكلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة الشرقية - (سلطنة عمان)

Doi: 10.21608/mdad.2025.445269

استلام البحث	١٠/ ٥ / ٢٠٢٥
قبول النشر	١٥ / ٦ / ٢٠٢٥

مشيخي،هادية صالح(٢٠٢٥). التراث بين النقد والفلسفة: قراءة في مشروع محمد عابد الجابري النقدي. ***المجلة العربية مـــداد***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٩(٣٠)،١- ٢٢.

http://mdad.journals.ekb.eg

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

التراث بين النقد والفلسفة
قراءة في مشروع محمد عابد الجابري النقدي

الملخص:

يقدّم هذا البحث قراءة محمد عابد الجابري للتراث من وجهة نظر نقدية فلسفية. وتطرّق إلى مكونات التراث وصنّفها إلى ثلاثة مفاهيم أساسية : البيان وهي علوم اللغة والدين التي تشكلت دفعة واحدة في عصر التدوين، والبرهان وقصد به لحظة تنصيب العقل في الفكر العربي والذي بدأ من المغرب والأندلس بعد فشله في المشرق. ثم العرفان الذي يمثل امتدادا لموروث قديم تكوّن من بنيات عقائد وثقافات سابقة عن الإسلام، وقد أطلق عليه "العقل المستقيل". وقد دعا الجابري إلى نقد العقل العربي باعتباره منتجا للثقافة العربية ومشكّلا لها وأداة تفكير، مؤكدا ضرورة إعادة بناء آليات التفكير قصد التحرر من أسر القراءات السائدة للتراث واستئناف النظر في معطيات الثقافة العربية الإسلامية بمختلف فروعها دون التقيد بوجهات النظر المختلفة، واستلهام ما تمّ في عصر التدوين من تخطيط شامل قصد تشييد عصر تدوين جديد يتم فيه التعامل مع الثقافة بموضوعية بمعنى فصل الذات عن الموضوع من خلال المعالجة البنوية والتحليل التاريخي والطرح الايديولوجي ثم وصل القارئ بالمقروء. وقد شملت عملية النقد أيضا خطاب التيارات الفكرية مثل التيار السلفي والتيار القومي والتيار الليبرالي. وتعتبر قراءة الجابري من أبرز المحاولات المهمة في تناول التراث لأنها حفرت طبقات الثقافة العربية وفكّكت نظمها المعرفية، كما وجّهت اهتمامها إلى العقل هذه الأداة التي يفكر بها العربي ويقرأ من خلالها منتجاته ويحاكمها ،. كما تحملنا هذه القراءة إلى إعادة النظر في المسائل الرئيسية في الثقافة العربية وتحثنا على ضرورة التأمل في التراث لأن المؤلف من خلال إثارته عديد المشكلات فتح أمامنا أبواب البحث وإعادة النظر في القراءات السابقة وفي التراث نفسه.إنّ تصور الموضوع على هذا النحو فرض علينا تقسيم البحث إلى أربعة محاور أساسية : مفهوم النقد وعلاقته بالفلسفة ، ومفهوم الجابري للتراث ومكوناته ، وملامح مشروع الجابري النقدي ، وأهمية المشروع النقدي وحدوده.

الكلمات المفتاحية: تراث - الجابري - نقد - فلسفة - فكر - ثقافة - عقل.

ISSN : *2537-0847* **eISSN :** *2537-0898*

Abstract:

This research presents Mohammed Abed Al-Jabri's reading of Arab-Islamic heritage from a critical philosophical perspective. It explores the components of heritage, which Al-Jabri classifies into three foundational concepts: **Bayān** (clarity), which includes the linguistic and religious sciences that emerged simultaneously during the era of codification; **Burhān** (demonstration), referring to the moment when reason was established in Arab thought a process that began in the Maghreb and Al-Andalus following its failure in the East; and **Irfān** (gnosis), which represents a continuation of pre-Islamic belief systems and cultural structures, and which Al-Jabri termed the "resigned reason."Al-Jabri called for a critique of Arab reason, considering it a product, a shaper, and a tool of Arab culture. He emphasized the need to reconstruct the mechanisms of thinking to liberate ourselves from the dominance of traditional readings of heritage. His aim was to renew engagement with the sources of Arab-Islamic culture in all its branches, independent of pre-established viewpoints. Inspired by the comprehensive intellectual planning of the codification era, Al-Jabri advocated for a new age of codification one that deals with culture objectively by separating the subject from the object through structural analysis, historical contextualization, ideological framing, and by reestablishing the connection between reader and text. His critique also extended to various intellectual currents, including Salafism, Arab nationalism, and liberalism. Al-Jabri's reading stands as one of the most significant attempts to approach Arab heritage, as it delves deeply into the layers of Arab culture, deconstructing its epistemological systems while focusing on reason as the tool through which Arabs think, interpret, and evaluate their intellectual output. His work invites us to revisit central issues in Arab culture and encourages critical reflection on heritage. By raising numerous fundamental questions, Al-Jabri opens new pathways for research,

ISSN : ***2537-0847*** **eISSN :** ***2537-0898***

reevaluation of past interpretations, and renewed engagement with the heritage itself.

This study is structured around four main axes:

1. The concept of critique and its relationship to philosophy.
2. Al-Jabri's conception of heritage and its components.
3. The key features of Al-Jabri's critical project.
4. The significance and limitations of his critical approach.

Keywords: Heritage - Al-Jabiri - Criticism - Philosophy - Thought - Culture - Mind.

. . .

مقدمة:

يعدّ التراث من المسائل التي نالت اهتمام المفكرين العرب نظرا لارتباطه الوثيق بالحداثة ، فكلما طرحت مسألة الحداثة وضرورة مواكبة الحضارة العربية التي تجاوزتنا بأشواط يحضر التراث باعتباره التركة الفكرية والروحية والمادية للشعوب، وجد المفكرون أنفسهم أمام تحدي التعامل معه هل نتركه لأنه يمثل الماضي العبء ونستورد التطور الغربي بكل ما فيه؟ أو نعتمد عليه في عملية التقدم لأنه يمثل الهوية؟ أو نقوم بعملية انتقائية تسمح بأخذ ما يتلاءم مع متطلبات العصر وترك ما يخالفها؟ ويعد مشروع محمد عابد الجابري النقدي إحدى القراءات التي قدمت وجهة نظر لمسألة التراث. وقد اخترنا كتابه "نحن والتراث: قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي"[١] لتبين خصائص هذا الفكر. فما مفهوم الجابري للتراث ومكوناته؟ وما ملامح مشروعه الفكر ي؟ وما حدوده ؟

١- مفهوم النقد وعلاقته بالفلسفة

تجمع المعاجم العربية المختلفة من بينها لسان العرب[٢] لابن منظور وأساس البلاغة[٣] للزمخشري والصحاح[٤] للجوهري على تعريف النقد بأنه تمييز الدراهم وإخراج الزيف منه ، وهو ما يعني أن النقد فحص الشيء وتمحيصه وكشف عيوبه.

---

[١] - محمد عابد الجبري ،نحن والتراث: قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي، بيروت –الدار البيضاء،المركز الثقافي العربي،١٩٩٣ .

[٢] - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت، مادة نقد، ص ٤٢٥.

[٣] - الزمخشري، أساس البلاغة، دار الهدي ، عين مليلة، الجزائر، ١٩٩٨.

[٤] - الجوهري، الصحاح في اللغة والعلوم، تقديم عبد الله العلايلي، دار الحضارة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٤، مج٢.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

أما اصطلاحا فهو "نشاط يقوم على عملية انتقاء وتقييم وتحليل وإطلاق أحكام على الأعمال أو المفاهيم الأدبية"[٥]، بمعنى تحليل الأعمال الأدبية والفنية وتقييمها ، وكشف جوانب القوة والضعف فيها، وتقديم حكم عليها بناءً على معايير فنية وجمالية. ويعرفه محمد مندور بقوله " النقد في أدق معانيه هو فن دراسة النصوص والتمييز بين الأساليب المختلفة وهو روح كل دراسة أدبية إذا صحّ أن الأدب هو كل المؤلفات التي تكتب لكافة المثقفين"، ويرى البعض الآخر أن النقد يسعى إلى أن يكون علما موضوعيا يستعين بالعلوم التجريبية والإنسانية المختلفة ويتضافر معها دون أن يتماهى فيها ليكون في مفهومه الحديث استعمال منظم للوسائل غير الأدبية ولضروب المعرفة غير الأدبية [٦]. وهكذا يمنح الفكر النقدي المستندإلى المرجعيات التأسيسية أدوات للتفكير في العالم في مفارقاته وتناقضاته وما تختزله العلاقات الاجتماعية والثقافية والسياسية من آليات التحكم والاستيلاب. كما أنه يقدّم لنا ممكنات التجاوز واستشراف عوالم متجددة .[٧] ويعرفه عبد السلام المسدي بأنه "حفر الباطن في الثقافة والمعرفة"[٨] ليربط بذلك بين النقد واللغة.

هذا التنوع التعريفات يعكس مدى صعوبة الإمساك بمصطلح النقد الذي نجد له حضورا في فروع المعرفة المختلفة. وقد أسهمت الفلسفة والعلوم الإنسانية والفن في التأسيس المتجدد للسؤال وبلورة تصورات نقدية للذات والعالم والمجتمع والسياسة والأخلاق، ومنحت الفكر النقدي حضورا دائما باعتبار أنه يقترح على الفكر الإنساني انفتاحات مهمة وآفاق عديدة .

وإن كان النقد إجراء نظريا وعمليا تساوق مع الثقافة الغربية منذ عصر التنوير وشرّع للاتجاه النقدي، فإن الفكر العربي في بداياته لم يؤسس نظرية في النقد وبقي يحدّد موقع النقد ودلالاته كالأداة والمفهوم والمناهج والرؤى بسبب تأثره بالفكر النقدي

---

[٥]- حنان قصاب حسن، النقد الأدبي، الموسوعة العربية، هيئة الموسوعة العربية برئاسة الجمهورية، دمشق، ط١، ٢٠٠٨، صص٧٢٦-٧٢٩

[٦]- عبد الواحد علواني، مقال "الخطاب والنقد بين الوصاية والتواصل، مجلة كلمة، مؤسسة الفلاح ، بيروت، لبنان، عدد ٢٢، السنة السادسة، ١٩٩٩، ص ٨٥.

[٧]- محمد نور الدين أفاية، في النقد الفلسفي المعاصر مصادره الغربية وتجلياته العربية، بيروت ،مركز دراسات الوحدة العربية ، ط١، ٢٠١٤، صص ٩-١٠.

[٨]- عبد السلام المسدي، الأدب وخطاب النقد، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٤، ص٩١.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الغربي. لكن في العقود الأخيرة تبلور اتجاه نقدي حاول تلّمس العقل العربي بهدف الكشف عن آلياته وأسسه المعرفية [٩]. ويعدّ محمد المفكر المغربي محمد عابد الجابري[١٠] من بين النقاد الذين تناولوا العقل العربي وآليات تفكيره في تعامله مع التراث العربي-الإسلامي وما يشمله من ثقافة وفكر وسياسة وأخلاق ودين وفن وآليات تفكير، وقدّم لنا مشروعا نقديا استمد أسسه من الفلسفة.

فما هي ملامح المشروع النقدي الجابري في التعامل مع التراث؟ وماهي حدوده؟

٢- مفهوم الجابري للتراث

لم يقدم الجابري في الكتاب الذي اعتمدناه مصدرا في دراسة مشروعه الفكري "نحن والتراث: قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي" مفهوم التراث لذا اعتمدنا على كتاب "التراث والحداثة"[١١] و"بنية العقل العربي"[١٢] و"تكوين العقل العربي"[١٣]. وقد استند في كتابه "نحن والتراث" إلى التعريف اللّغوي والاصطلاحي لكلمة تراث التي تجعلها المعاجم القديمة مرادفة للإرث والورث والميراث على أساس أنهما خاصان بالمال، وبين الإرث على أساس أنه الخاص بالحسب. وقد ورد هذا اللفظ مرة واحدة في القرآن في قوله تعالى وتأكلون التراث أكلا لما"[١٤] بمعنى المال. أما في الفقه الإسلامي فلا نجد لهذا اللفظ حضورا أو ذكرا في المدونة الفقهية وهو ما يؤكد أن

---

[٩]- محمد نور الدين أفاية، في النقد الفلسفي المعاصر مصادره الغربية وتجلياته العربية، مرجع سابق، ص١٥٤.

[١٠]- محمد عابد الجابري هو مفكر وفيلسوف مغربي، ولد في ٢٧ ديسمبر ١٩٣٥ وتوفي في ٣ مايو ٢٠١٠. اشتغل أستاذاً للفلسفة والفكر العربي الإسلامي في كلية الآداب بالرباط، ثم أستاذا جامعيا.له العديد من المؤلفات في قضايا الفكر المعاصر "نحن والتراث: قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي"، "العصبية والدولة: معالم نظرية خلدونية في التاريخ العربي الإسلامي"، "تكوين العقل العربي"، "بنية العقل العربي"، "العقل السياسي العربي"، "العقل الأخلاقي العربي"، "مدخل إلى فلسفة العلوم: العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي"، "معرفة القرآن الحكيم أو التفسير الواضح حسب أسباب النزول"، "مدخل إلى القرآن الكريم"...

[١١]- محمد عابد الجابري، التراث والحداثة :دراسات ومناقشات، بيروت ،مركز دراسات الوحدة العربية ،١٩٩٩ .

[١٢]- محمد عابد الجابري ، بنية العقل العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، بيروت ،مركز دراسات الوحدة العربية،١٩٩٣

[١٣]- محمد عابد الجابري تكوين العقل العربي ، بيروت ،مركز دراسات الوحدة العربية،٢٠٠٢ .

[١٤]- سورة الفجر ،عدد ٨٩ ،الآية ١٩ .

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

استعماله بالمعنى الذي نعرفه اليوم غائب تماما عن الوعي العربي في تلك الفترة وأن هذا المصطلح مصلح حديث. أما في الحقول المعرفية العربية الإسلامية الأخرى مثل الأدب وعلم الكلام والفلسفة فلا تحظى فيها كلمة تراث بأي وضع خاص لها، بل إننا لا نكاد نعثر لها عن ذكر.

يرى الجابري أن المصطلحات الوافدة علينا منذ بدء يقظتنا الحديثة لا تحمل نفس المضامين التي نحمّلها اليوم لكلمة تراث لأن معانيها لاتتعدى حدود المعنى العربي القديم للكلمة والذي يحيل أساسا على تركة الهالك إلى أبنائه، يقول "لقد استعملت كلمة تراث في معنى مجازي للدلالة على المعتقدات والعادات الخاصة بحضارة ما. وبكيفية عامة التراث الروحي ولكن حتى في هذه الحالة يظل معنى الكلمة فقيرا جدا بالقياس إلى المعنى الذي تحمله كلمة تراث في الخطاب المعاصر"[١٥].

فقد اكتسى لفظ "تراث" في الخطاب العربي الحديث والمعاصر معنى مختلفا متباينا إن لم يكن مناقضا لمعنى مرادفه الميراث في الاصطلاح القديم، لأنه أصبح يشير إلى ماهو مشترك بين العرب أي التركة الفكرية والروحية التي تجمع بينهم لتجعل منهم خلفا لسلف. فالتراث هو الموروث الثقافي والفكري والأدبي والفني، والمضمون الذي تحمله هذه الكلمة داخل الخطاب العربي المعاصر ملفوفا في بطانة وجدانية إيديولوجية لم يكن حاضرا لا في خطاب أسلافنا ولا في حقل تفكيرهم. كما أنه غير حاضر في خطاب أي لغة من اللغات الحية التي نستورد منها المصطلحات والمفاهيم الجديدة علينا. وهذا يعني أن مفهوم التراث كما نتداوله اليوم إنما يجد إطاره المرجعي داخل الفكر العربي المعاصر ومفاهيمه الخاصة وليس خارجه. يقول الجابري "إن الشحنة الوجدانية والمضمون الإيديولوجي المرافقين لمفهوم التراث كما نتداوله اليوم تخلو منهما تماما مقابلات هذه الكلمة في اللغات الأجنبية المعاصرة التي نتعامل معها."[١٦] وبهذا المعنى يصبح مفهوم التراث لصيقا لمفهوم الثقافة في بعدها المادي والذهني. وقد قسّم الجابري التراث إلى مكوّنات ثلاث هي: البيان والعرفان والبرهان .

أول مكون هو علوم البيان التي تشكّلت دفعة واحدة في مرحلة التدوين.[١٧] وهي تمثل عالم المعرفة الذي تبتنيه العلوم العربية الإسلامية الخالصة "علوم الدين وعلوم

---

[١٥] - الجابري، التراث والحداثة، ص ٢١ .

[١٦] - الجابري ،التراث والحداثة، ص ٢١

[١٧] - حُدّد عصر التدوين عند المؤرخين بداية من ١٤٣ هجري في عهد المنصور العباسي ١٣٦ -١٥٨ .

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

اللغة". وتتركز الممارسة النظرية داخله على وضع قوانين لتفسير "الخطاب القرآني " أساسا، وقد اقترح مقدمات عقلية لتأسيس مضمون ذلك الخطاب الديني تأسيسا عقليا، جداليا وحجاجيا ، وهو ما اقتضى تقنين اللغة وتقعيدها من جهة ووضع أصول الفقه من جهة ثانية. وقد تمّ ذلك فعلا عندما وضع كل من الفراهيدي وسيبويه أصول النحو واللغة، ووضع الشافعي أصول الفقه، ووضع المعتزلة والأشاعرة أسس علم الكلام. وقد جمع بين هذه العلوم كلها فعل عقلي واحد هو حمل جزء على كلّ للمماثلة بينهما. وكان العقل العربي في هذا الجانب عقل فقهيٌ "تكوينا" وقياسي "بنية" تكاد تقتصر وظيفته على البحث لكل فرع عن أصل يقيسه عليه ولكل جديد عن قديم يستمد منه مشروعيته وخادم للكتاب والسّنة وليس بديلا عنهما.[١٨] وتعتبر طبقة البيان أقدم الطبقات في مستوى التكوين التاريخي للتراث وهي بمثابة القاعدة التي تأسست عليها سائر الطبقات، إضافة إلى أنها مكونات عربية خالصة لم تدخل إليها علوم الثقافات بعد توسع الرقعة الجغرافية للدولة الإسلامية [١٩] .

أما المكون الثاني فهو العرفان ،ويمثل امتدادا لموروث قديم تكوّن من بنيات عقائد وثقافات سابقة عن الإسلام، وأصبح مكونا من مكونات التراث العربي ومُتحكّما في آليات اشتغال العقل العربي وتوجيه فكره ، وقد أطلق عليه الجابري اسم "اللامعقول" أو "العقل المستقيل" وهي اللحظة التي يتعطل فيها العقل عن التفكير المنطقي وإنتاج المعرفة . وقد بدأت دائرة اللامعقول تتشكل عند أول اتصال للثقافة العربية بعناصر الموروث القديم، ولم يكن هذا الاتّصال الأول اتّصالا بأرسطو وبعلوم البرهان العقلية كما هو شائع، بل كان بالمذاهب الهرمسية[٢٠] والغنوصية[٢١] وهي منتجات الثقافة اليونانية في

---

[١٨] - لمزيد التوسع أنظر الجابري، تكوين العقل العربي، ص ١١٢ وما يليها .

[١٩] - الجابري ،التراث والحداثة ،ص ٢١ .

[٢٠] - الهرمسية: تيار فلسفي ديني علمي ينسب إلى هرمس المثلث بالحكمة أو النبي إدريس كما جاء في المؤلفات العربية. وتقدم نظرية كونية تتلخص في أعالي الكون وراء السماء العليا، سماء النجوم الثابتة يقيم إله متعال لا يقبل الوصف لا تدركه العقول ولا الأبصار. وإزاءه توجد المادة غير المتعينة، مبدأ الفوضى والشر والنجاسة. وإضافة إلى هذين المبدأين هناك مبدأ ثالث هو الإله الصانع القابل لأن يُعرف ويدرك هو الذي صنع العالم من المادة اللامتعينة بأمر من الإله المتعالي(...) وقد تأثر الفكر العربي بالفكر الهرمسي الذي نجد له حضورا في التصوف والفلسفة الإسلاميين والعلوم كالكيمياء والتنجيم والطب مع الرازي وغيره. معن زيادة، الموسوعة العربية، بيروت، معهد الإنماء العربي، ط١، ١٩٨٧، م٢، صص١٤١٠-١٤١٨.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

العصر الهلينستي وقد بلغت أدنى درجات انحدارها وأفلت عقلانيتها أفولا كاملا . وبتعبير أخر فإن ماعرفته هذه الثقافة من علوم الأوائل كان بالضبط اللاعقل . وقد استعان الجابري ببحوث لويس ماسينيون[٢٢] في كشف قطاعات العقل المستقيل وحلّل العوامل التي ساعدت على تسرب منتجات هذا العقل إلى داخل الثقافة العربية عبر استعادة الظروف التاريخية والفكرية كتوسع الفتوحات الاسلامية التي سمحت بدخول ثقافات مختلفة المشارب، و تصارع تيارات الموروث القديم حتى تضمن استمراريتها أمام الدين الجديد، وقد جسّدها الفكر الشيعي حسب رأي الجابري. إضافة إلى توظيف التيارات العربية المتجادلة فيما بينها لأبراز شرعيتها في الموروث القديم، ولعل ظاهرة التأويل في القرآن إلى ظاهر وباطن أبرز مثال على ذلك.

تتحدد مقاييس اللامعقول بخلاف مقاييس المعقول في الفكر العربي، فالهرمسية والأفلاطونية المحدثة والمانوية وهي المصادر التي كونت عناصر هذا الموروث تشترك

---

[٢١] - الغنوصية: كلمة يونانية تعني المعرفة أو العرفان ثم اتخذت معنى اصطلاحيا "العرفانية"وصارت تعبر عن تذوق المعارف مباشرة أو التوصل بنوع من الكشف والالهام إلى المعالم العليا ومثلت الغنوصية نزعة فلسفية صوفية دينية غايتها معرفة الله بالحدس لا بالعقل والاستدلال

وجدت الغنوصية كفكرة في الأديان الشرقية القديمة. وتحولت فيما بعد إلى ديانات ومذاهب. ففي الدين السومري هناك الإله «دموزي» الذي ينزل إلى العالم السفلي في الخريف والشتاء، والتي انبثقت عنها فكرة البدء والميعاد الهرمسية، ونجد في الزرادشتية تمظهرات أخرى للغنوصية تتمثل في إله الخير والنور (أهورامزدا)، أي الإله الأعلى، وشكلت في الشرق الأقصى فكرة بوذا مصدراً من مصادر الغنوصية. وبدأت الغنوصية المسيحية في القرن الأول الميلادي، وازدهرت وانتشرت في القرن الثاني. الموسوعة العربية، مرجع سابق، م ١٤، ص٢٨-٣١.

[٢٢] - لويس ماسينيون Louis Massignon مستشرق فرنسي (١٨٨٣-١٩٦٢)، وجه نشاطه الفكري في التنقيب في الإسلام، آثاراً ونظماً اجتماعية ولاسيما تصوفاً، له أكثر من مائتي مولف من بينها: «عالم الإسلام» (١٩١٢-١٩١٣) و«الكنيسة الكاثوليكية والإسلام» (١٩١٥)، و«الإسلام والاتحاد السوفييتي» (١٩١٧-١٩٢٧)، ومن مقالاته: «تاريخ العقائد الفلسفية العربية في جامعة القاهرة» (١٩١٢-١٩٢١) و«الدراسات الإسلامية في إسبانيا» (١٩١٨- ١٩٣٦) و«أساليب تطبيق الفنون لدى شعوب الإسلام» (١٩٢١) صدرت كلها في مجلة «العالم الإسلامي». كما كتب «حال الإسلام اليوم» مجلة «باريس(1929) »، الموسوعة العربية، مرجع سابق، مقال : لويس ماسينيون، ج١٩.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

في القول بأن الحقيقة العليا لا تتم بالتأمل والاستدلال كما هو شأن البيان، بل وجب الإقرار بالعجز عن تحقيق أي معرفة بالله من خلال تدبر الكون وأن معرفة الإنسان بالكون يجب أن تمر عبر اتصاله المباشر عن طريق التطهر بالحقيقة العليا كما قالوا بثنائية الله إله النور وأخر الظلمة أو الإله الصانع والإله العاقل. وقالوا بالتطهر وأنكروا النبوات لأنّ التطهّر يرفع إلى النبوة.

ويرى الجابري مثله مثل هنري كوربان صاحب كتاب "تاريخ الفلسفة الإسلامية" أنّ الشيعة والتيارات الباطنية المرتبطة بهم هي التي استخدمت الموروث القديم في معاركها الأيديولوجية مع السلطة المركزية التي

كانت تتمسك في الغالب بالمعقول الديني العربي البياني ايديولوجيا رسمية. وهكذا أخذت عناصر الموروث القديم مواقع لها في العلوم عن طريق كيمياء جابر بن حيان وعن طريق الطب الروحاني للرازي[٢٣] الذي لم تكن إشادته بالعقل وإنكار للنبوة إلا إشادة بنوع معين من العقل وهو العقل المستقيل الذي يقول بضرورة الحدّ من الهوى في إطار عملية التطهّر الهرمسية. كما أن إنكاره للنبوة من موقع غنوصي يتماشى مع الموقف الهرمسي الناكر للنبوة .

أما على مستوى العقائد فقد تسربت الشيعة الهرمسية من باب الشيعة وما ارتبط منها من تيارات باطنية، ومن باب التصوّف وبشقيه الشيعي والسنّي ، ومن باب الفلسفة الاسماعيلية تحديدا رسائل إخوان الصفا[٢٤] التي اعتبرها الجابري مدونة هرمسية كاملة ومن باب الفارابي ونظريته في السعادة وابن سينا وفلسفته المشرقية. يقول الجابري في كتاب نحن والتراث "لقد كرّس ابن سينا بفلسفته المشرقية اتجاها روحانيا غنوصيا كان له أبعد الأثر في رجة الفكر العربي الإسلامي وارتداده من العقلانية المتفتحة التي حمل لوائها المعتزلة والكندي[٢٥] وبلغت أوجها مع الفارابي[٢٦] إلى عقلانية ظلامية قاتلة لم يعمل

[٢٣] - فخر الدين محمد بن عمر بن الخطيب الرازي، ولد سنة ٥٤٣ وتوفى ٦٠٦ عالم في التفسير، جمع تفاسيره في مؤلف تحت عنوان "مفاتح الغيب".

[٢٤] - إخوان الصفا ،حركة دينية سياسية ذات نزعات شيعية متطرفة ظهرت في ٣٧٣ هـ/٩٨٣ م. لهم رسائل لشتات العلوم تبلغ ٥٢ رسالة .

[٢٥] - أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي عالم وفيلسوف عربي ولد سنة ٢ هـ/٨ م.توفى في أواسط القرن ٣ هـ/٩ م .

[٢٦] - أبو نصر محمد بن طرخان الفارابي من أصل تركي سمي المعلم الثاني بعد أرسطو مات في داماس سنة ٣٣٩ هـ/٩٥٠ م.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الغزالي والسهروردي الحلبي وأمثالهما إلا على نشرها وتعميمها في مختلف الأوساط ذلك هو حكمنا على ابن سينا[٢٧] أكبر فيلسوف وأكبر طبيب أنتجته المدرسة الفلسفية دون تردد ولا مراعاة "[٢٨].

أما المكوّن الثالث فهو البرهان، وقد افتتح الجابري بحثه حول العوامل التي حيّنت لحظة انبثاق العقل وتنصيبه داخل الثقافة العربية الإسلامية بالسؤال التالي : كيف تم تنصيب العقل في الإسلام؟ . ورغم أنّه اعتبر أن عمليات تقنين اللغة والبيان عموما والفقه تقنينا للمشرع ذاته، أي العقل، فإنّه رأى أن عملية تعريب مقولات المنطق لأرسطو عاملا حاسما في انبثاق لحظة تنصيب العقل، وقد تأخر هذا التعريب تاريخيا عن زمن تسرّب عناصر الموروث العرفاني وأخذ بدوره عملية تنصيب العقل في الثقافة العربية الإسلامية. وعندما أصبحت المعرفة البيانية قاصرة عن الإحاطة بمختلف المسائل والمشكليات الطارئة بفعل التحولات المجتمعية التي شهدتها تلك المرحلة الخطيرة من تاريخ المجتمع الإسلامي، وهو ما أكد الحاجة إلى آليات معرفية جديدة يغني بها القديم، وجد فلاسفة الإسلام في المنطق الأرسطي ما يحقق هذه الحاجة فكان من المفروض عليهم أن يتبيّنوا قصور القياس البياني، وهو ما أنجزه الغزالي عندما برهن على أن الواسطة الحاملة على الحكم في هذا النوع من القياس ظنية لأنها غير مذكورة مثلما هو الشأن في القياس البرهاني ويُعدّ هذا الطعن من الطعون القاتلة التي وجهها إلى القياس البياني. ويستعرض الجابري في مرحلة أولى المواضيع التي تشكل الرؤية البرهانية منها الوجود،الماهية ، القدر، حدوث النفس وحقيقتها ،والمعرفة. وهي مواضيع لعامة فلاسفة المسلمين رأي فيها ومواقف ومنهم ابن سينا الذي شكلت هذه المواضيع منظومته السينوية، واستخلص أن همه لم يكن تأسيس البرهان كرؤية مستقلة ومكتملة لمثل هذه القضايا بل كان تقديم أجوبة صريحة أو ضمنية للقضايا التي تشغل جميع الاتجاهات والتيارات، أجوبة ترضيهم جميعا لذلك جاءت السينوية "تلفيقا بين إلاهيات الفارابي وأخرويات الإسماعلية، إضافة إلى ماعكسته من مشاغل المتكلمين المتصوفة "[٢٩].

---

[٢٧] - أبو علي الحسين بن الحسين بن علي بن سينا يكنى بالشيخ الرئيس ولد ٣٧٠ هـ/ ٩٨٠ م بأفنجة قرب بخارى.

[٢٨] -الجابري نحن والتراث ،ص ٣٩ -٤٠ .

[٢٩] - الجابري، بنية العقل العربي ص ٤٨١ -٤٨٢.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ويصل المفكر بهذا الكشف عن الدور الذي لعبته السينوية في إحداث التداخل والاختلاط من جديد لتفقد الرؤية البرهانية الأرسطية طابعها العقلاني وتنسحب إلى القاع إلى منتجات العقل المستقيل (العرفان) والأمر نفسه بالنسبة إلى الغزالي والفارابي، فقد "تبنى الغزالي فلسفة ابن سينا المشرقية فقدّمها على أنها المنقذ من الضلال والطريق إلى إحياء الدين فحاكمه باسمها وباسم الدين وجعل من ابن سينا الممثل الرسمي للفلسفة في الإسلام مستندين في ذلك على كتاب الشفاء والنجاة ساكتين عن "الإشارات والتنبيهات" و"الحكمة المشرقية"."[٣٠] وهكذا لم تقم في المشرق قائمة للفلسفة .

أما في بلاد فارس نجد أن الفلسفة العربية قد قطعت مع إشكالية المشارقة لتتبنى إشكالية المغاربة من أجل القضية نفسها "قضية العقل والمعقولية " لكن بعد أن تعيد طرحها من جديد بمنهج جديد وفي آفاق جديدة مع بداية الثقافة التي دشنها ابن تومرت[٣١] وواصلها خلفاؤه من بعد. يقول الجابري "لقد فشلت الفلسفة في تحقيق حلمها في المشرق وعليها أن تبدأ من الصفر في المغرب"[٣٢].

تنطلق الفلسفة في المغرب والأندلس من رفض الطريق الذي سلكه فلاسفة الشرق، فلقد استعاد ابن باجة[٣٣] وعي الفارابي ولكن بروح نقدية مما جعله أقل إغراقا في الحلم وهاهو ابن طفيل[٣٤] يتصدى في قصته حي ابن يقظان للكشف عن أسرار الحكمة المشرقية المشرقية التي ذكرها الشيخ الرئيس بنفس الروح النقدية الواقعية، فيربط تلك الحكمة بأصلها المشرقي الحراني بطريقة ذكية ويختم القصة بإبراز فشل المدرسة الفلسفية المشرقية في تحقيق مشروعها في إنشاء فلسفة يندمج فيها الدين ثم يقرر واقعا يفرض نفسه وهو أن لكل من الدين والفلسفة طريقه الخاص وإن كان يلتقيان عند الهدف.

فالمشروع الأندلسي أعاد ترتيب العلاقة بينه وبين البيان وأقصى العرفان إقصاء كاملا، وتظهر أهميته في خلوه من هاجس التوفيق بين النقل والعقل أو الدين والفلسفة،

---

[٣٠]- الجابري، نحن والتراث، ص ٤٠ .

[٣١] - المهدي ابن تومرت ،مؤسس الدولة الموحدية في ق ٦ ولد سنتي ٤٧١ -٤٧٤ هـ/ ١٠٧٨ -١٠٨٠ .

[٣٢]- الجابري، نحن والتراث، ص ٤٠ .

[٣٣] - ابن باجة : أبو بكر محمد بن يحي بن الصائغ الأندلسي ولد نهاية القرن ٥ وتوفى سنة ٥٣٣ هـ/١١٣٩ .

[٣٤] - ابن طفيل: أبو بكر محمد بن محمد القيسي فيلسوف مغربي توفي سنة ٥٨١ هـ/ (١١٧٥ -١١٧٦).

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

وهو مشروع سار فيه ابن حزم[٣٥] بمذهبه الظاهري وخطا فيه ابن رشد خطوات هامة وطوره بمحاولته ذات المضامين العقلانية والنقدية، وأكدها ابن باجة الذي أنتج خطابا فلسفيا جديدا يتحرك داخل دائرة البرهان وحدها دون انشغال بنصرة البيان ولا تأسيس العرفان. كما سعى إلى قراءة أرسطو بواسطة أرسطو نفسه وهو ما قاد إلى تركيز النظر إلى الدين والفلسفة باعتبارهما بناءين مستقلين لكل منهما كيانه الخاص. ونجد الجابري ينتصر لهذا الصنف من الثقافة، يقول "إننا اخترنا بوعي التعامل مع الثقافة العالمة وحدها فتركنا جانبا الثقافة الشعبية من قصص وخرافات وأساطير وغيرها لأن مشروعنا مشروع نقد"[٣٦] .

٢ ـ ملامح مشروع الجابري النقدي

يرى محمد عابد الجابري أن الفكر العربي الحديث والمعاصر هو في مجمله فكر لا تاريخي يفتقد إلى الحد الأدنى من الموضوعية، لذلك كانت قراءته للتراث قراءة سلفية تنزه الماضي وتقدّسه وتستمدّ منه الحلول الجاهزة لمشاكل الحاضر والمستقبل . فالعرب جميعهم يقتبسون نهضتهم من نوع من الماضي: إما الماضي العربي الإسلامي، وإما الماضي – الحاضر الأوروبي، وإما التجربة الروسية أو الصينية، أو غيرها وهو على حدّ تعبير الجابري "النشاط الذهني الآلي الذي يبحث في الحلول الجاهزة لكل المشاكل المستجدة"[٣٧]

هذا النشاط الذهني يمثل جزءا من بنية العقل العربي الذي يتعيّن فحصه بدقة ونقده بكل صرامة قبل الدّعوة إلى تجديده أو تحديثه ،إنه لن يتجدد على أنقاض القديم إلا انطلاقا من نقد شامل وعميق.

لقد تمّ خلال العقود العشر الماضية تكريس نظريات تتعلق بالثقافة العربية ومختلف فروعها، وتعددت الآراء وتنوّعت وهو ما أدى إلى رسم تصورات معينة لتاريخ هذه الثقافة، قراءات استشراقية أو سلفية أو قومية أو يسارية توجهها نماذج سابقة أو شواغل

[٣٥] - أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم الأندلسي، عالم وفقيه ومؤرخ و شاعر ولد بقرطبة سنة ٣٨٤ هـ/١١٢٦ م.

[٣٦] - الجابري ،نحن والتراث ،ص ١٧ .

[٣٧] - الجابري ،نقد العقل العربي ،ص١٩ .

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

أيديولوجية ظرفية مما جعلها لا تهتم إلا بما تريد أن تكتشفه أو تبرهن عليه. وبما أن العقل العربي هو العقل الذي تكوّن وتشكل داخل الثقافة العربية وهو الذي عمل على انتاجها وإعادة إنتاجها، فإن عملية النقد المطلوبة هي التحرر من أسر القراءات السائدة واستئناف النظر في معطيات الثقافة العربية الإسلامية بمختلف فروعها دون التقيد بوجهات النظر المتداولة.

فمشروع الجابري تجاوز المسائل الحافة بالثقافة والعوامل المؤثرة فيها ليسلط اهتمامه على تاريخ الثقافة العربيةالذي يحتاج فحصا دقيقا وبنية العقل نفسها، يقول "ومن هنا المهمة المضاعفة التي يطمح هذا المشروع إلى تدشين العمل فيها: استئناف النظر في تاريخ الثقافة العربية من جهة أولى وبدء النظر في كيان العقل العربي وآلياته من جهة"[٣٨].

يرى الجابري أن الموروث العربي الإسلامي الذي نتناقلته الأجيال منذ عصر التدوين إلى اليوم ليس صحيحا على وجه القطع بل هو صحيح فقط على شروط أهل العلم، فهو يكتسب صحته من خلال شروط واضعيه واتفاقهم عليه وليس من مطابقته للواقع وتطبيقه، ويمثل القياس أحد الممارسات النظرية التي ساهمت في تشكيل العقل العربي في عصر الانحطاط والذي كان قوامه قياس الشاهد على الغائب دون مراعاة الشروط التي تجعل القياس منهجا علميا. يقول الجابري "إن تجديد العقل العربي يعني في المنظور الذي نتحدث فيه إحداث قطيعة ابستيمولوجية تامة مع بنية العقل العربي في عصر الانحطاط وامتداداتها إلى الفكر العربي الحديث والمعاصر"[٣٩].

كما يدعو إلى استلهام إلى ما تمّ في عصر التدوين من تخطيط شامل للثقافة العربية قصد تشييد عصر تدوين نقوم فيه بإعادة بناء شاملة للثقافة القومية التي يجب أن تشمل اليوم كل الثقافات المحلية والشعبية داخل الوطن العربي مع التفتح على الثقافات الأجنبية الأخرى. فالعودة إلى عصر التدوين وآليات فكره باعتباره كان الفترة الذهبية في التاريخ الثقافي العربي يؤكد التواصل مع التراث لدى الجابري لأنه لا يدعو إلى القطيعة بمعناها الدارج "الفصل" وإنما التحرر من الرواسب التراثية في عملية فهم التراث. وعلى رأس

[٣٨]- الجابري ، نقد العقل العربي ،ص ٦ .

[٣٩]- الجابري ، نقد العقل العربي ص ٢٠.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

هذه الرواسب القياس الفقهي والنحوي والكلامي في صورته اللاعلمية التي تقوم بربط جزء بجزء ربطا ميكانيكيا لأن القياس يفصل الأجزاء عن الكلّ الذي ينتمي إليه وينقلها إلى كل آخر هو الحقل الذي ينتمي إليه المستعمل دون مراعاة خصوصيات المنقول والمنقول إليه.

يعتبر الجابري أن الموضوعية هي القضية الأساسية التي تواجه المنهج في الفكر العربي المعاصرفي تعامله مع التراث، فالسؤال المطروح هو : كيف نبني لأنفسنا فهما موضوعيا لتراثنا ؟

إن الشعوب تفكر بتراثها ولكن فرق شاسع بين من يفكر بتراث ممتد إلى الحاضر ويشكل جزءا منه، تراث متجدد يخضع باستمرار إلى المراجعة والنقد، وهنا المقصود الثرات الغربي، وتراث تفصله عن الحاضر مسافة علمية طويلة والمقصود التراث العربي. فالإنسان العربي يتلقى تراثه منذ ميلاده دون نقد يفكر بواسطته ومن خلاله ويستمد رؤاه واستشرافاته منه. وقد قدم صاحب الكتاب مثال اللغة العربية التي يقرأها القارئ العربي في التراث وفي ذات الوقت هي أداة يُقرأ بها التراث، فقد ظلت أربعة عشر قرنا أو ما يزيد تصنع الثقافة والفكر دون أن تصنعها الثقافة فبقيت بذلك الجزء الأكثر تراثية في التراث. وهذا ما نتج عنه ضرورة قراءة تذكّرية للنصوص العربية لا قراءة استكشافية مفهومة لها .

وأمام هذا الخلط بين وظائف الدارس والمدروس وجب ضرورة تحديد العلاقات في دراسة التراث في مستويين:

مستوى العلاقة الذاهبة من الذات إلى الموضوع : إن القارئ العربي مثقل بحاضره ويطلب السند في تراثه، يريد أن يجد فيه العلم والعقلانية والتقدم، وكلّ ما يفتقده في حاضره سواء على صعيد الحلم أو صعيد الواقع. لذلك نجده في قراءته يكبّل نفسه بالفهم الذي تؤسسه المسبقات التراثية أو الرغبات الحاضرة، ويسبق المعاني قبل الألفاظ خاصة المعاني التي تستجيب لحاجته، ويقرأ شيئا ويهمل آخر حسب ما يتوافق مع ميولاته، فيمزق النص ويحرّف دلالته ويخرج به عن مجاله المعرفي التاريخي.

فالقارئ العربي يعيش تحت ضغط الحاجة إلى مواكبة العصر ومزيد تأكيد الذات لذلك نجده على الرغم من أن التراث يحتويه يحاول أن يكيّف احتواء التراث له بالشكل

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الذي يجعله يقرأ فيه ما لم يستطع بعد إنجازه "إنه يقرأ كل مشاغله في النصوص قبل أن يقرأ النصوص"[٤٠]. ففصل القارئ عن المقروء مهم جدا في فهم التراث وكيفية التعامل معه ويكون ذلك عبر ثلاثة مراحل :

- المعالجة البنيوية : وتتمثل في معاملة فكر صاحب النص من خلال محورة فكره حول اشكالية واضحة قادرة على استيعاب جميع التحولات التي يتحرك بها ومن خلالها.
- التحليل التاريخي :يتمحور في ربط فكر صاحب النص الذي أعيد تنظيمه بمجاله التاريخي بكل أبعاده الثقافية والأيديولوجية والسياسية والاجتماعية قصد فهم تاريخي للفكر المدروس ولاختبار صحة النموذج البنيوي.
- الطرح الأيديولوجي : يعني الكشف عن الوظيفة الأيديولوجية (اجتماعية أو سياسية) التي أداها الفكر المعني الذي ينتمي إليه .والطرح الأيديولوجي مهم لأنه يدعم التحليل التاريخي الذي من دونه يبقى ناقصا وصوريا مجردا. يقول الجابري "إن الكشف عن المضمون الايديولوجي لفكر ما،هو الوسيلة الوحيدة لجعله معاصر لنفسه"[٤١] .

فعملية الفصل ستمكن من فهم النص من داخل النص من خلال نظام العلاقات القائمة بين أجزائها بعيدا عن إسقاط آراء القارئ وتأويلاته.

مستوى العلاقة الذاهبة من المقروء إلى القارئ: يدعو الجابري من خلالها إلى فصل المقروء عن القارئ بمعنى الدارس في تعامله مع موضوعه يتوخى جانبا من العقلانية ويبتعد عن التعامل العاطفي والانفعالي معه ويدرك أنه موضوع قابل للنقد والتحليل.

ويرى أن بتوفر هذين الشرطين يمكننا الحديث عن موضوعية ويمكننا أيضا إيجاد منهج يمكّننا من التعامل مع التراث لأن الموضوعية من أهم الإشكالات التي رافقت الفكر العربي على مداه الطويل. فحتى نتمكن من الخوض في مشكلة الحداثة والتراث يلزمنا توخي الموضوعية في دراستنا لهذه الإشكاليات، يقول "إن تحرير الذات من هيمنة النص التراثي لعملية تشريحية دقيقة وعميقة تحوّله بالفعل من موضوع للذات إلى مادة للقراءة"[٤٢]

---

[٤٠]- الجابري ، نقد العقل العربي ص ٢٤ .

[٤١] - الجابري ، نقد العقل العربي ص ٢٤ .

[٤٢]- الجابري ، نقد العقل العربي ص ٢٣ .

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

واستنتج الجابري أن الموضوعية وحدها غير قادرة على قراءة التراث وفهمه لأن التراث ليس انتاجا تاريخيا فحسب، أي صنعه التاريخ والمجتمع،بل هو أيضا عطاء ذاتي إنساني لشخصيات دخلت التاريخ لأنها استطاعت أن تتحرر ولو نسبيا من قيود المجتمع والتاريخ. إلا أن هذا العطاء لا يقدّم نفسه في شكله المباشر ولا يفصح عن نفسه إفصاحا مباشرا نتيجة الرقابة المادية والمعنوية للمجتمع، وقد قدّم أمثلة كتب لم تصل إلينا ككتاب "المضنون به على غير أهله" للغزالي و "الفلسفة المشرقية" لابن سينا وتطلعات أخرى يشار إليها من وراء الحجاب أو تلميحا أو رمزا كحديث ابن رشد عن الحكمة البرهانية والفارابي عن الحقيقة.

فاختراق اللغة والمنطق في هذه الحالة ضروري ومشروع لأن الذات ستعانق الذات القارئة عبر الحدس، والمقصود بالحدس الاستشراف الذي يمكّن الذات القارئة من قراءة ما سكتت عنه الذات المقروءة. ووسيلتها في ذلك ما في النص من علامات ومن جملتها ما تختفي وراء سياق التفكير ويتستر وراء مناورات التعبير. وهكذا نتمكن من قراءة المقدمات بنتائجها كما هو في المنطق والماضي بمستقبله وما كان بما سيكون فيندمج بذلك الموضوعي مع الأيديولوجي ويتحول المستقبل-الماضي الذي كانت الذات المقروءة تتطلع إليه إلى المستقبل-الآتي الذي تجري الذات القارئة وراءه فيصبح المقروء المعاصر لنفسه معاصرا لقارئه .

كما أكّد الجابري على ضرورة وحدة الفكر والمقصود بها وحدة الإشكالية . ولا يتحدد فقط بما تم التصريح به من قبل آراء المفكرين وأسئلتهم بل تتضمنه وتحتمله. وهذه الخاصية تجعل الإشكالية مطروحة ومفتوحة أمام أي مفكر لاحق ما لم تتجاوز. كما أكّد على تاريخية الفكر وهو يعني ارتباط الفكر بالواقع السياسي والاجتماعي والثّقافي والاقتصادي الذي أنتجه أو على الأقل الذي يتحرك فيه (المجال التاريخي- الحقل المعرفي- المضمون الأيديولوجي).

٣ ـ أهمية المشروع النقدي وحدوده

تكمن أهمية المشروع النقدي الجابري في ثلاثة نقاط ، أولها تمييزه بين المكونات الثلاث للتراث، فقد قام الجابري بتشريح الثقافة العربية وأعاد تقسيمها وترتيبها على أساس جديد، واستطاع أن يعيد تصنيف العلوم والمعارف التي شيّدها العقل العربي إلى ثلاث مكونات هي البيان والعرفان والبرهان. وقد تمكن بذلك من تجاوز التقسيم القديم

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

للعلوم إلى علوم عقلية /نقلية أو فلسفية /دينية والتصنيفات الحديثة للفكر العربي إلى مادي /مثالي، قديم/حديث، ثابت/متحول أو أصيل/دخيل.

ثانيها توجه الجابري بالنقد إلى العقل، فقد اهملت كل القراءات السابقة للتراث العقل في دراستها ذلك أن إصبع الاتهام وُجّه إلى كل المجالات المكوّنة للتراث كالمجال الديني والسياسي والثقافي والاقتصادي لكن أهمل العقل، هذه الأداة التي يفكر بها العربي ويقرأ من خلالها منتجاته ويحاكمها. فالجابري لم يستثن العقل في دراسته بل كان مقصده وغايته، لذلك حاكمه ونقده، يقول "لأن موضوعنا هو العقل ولأن قضيتنا التي ننحاز لها هي العقلانية،فإننا نقف من موضوعنا موقف الذات الواعية من نفسها. إن موضوعنا ليس موضوعا لنا بقدر ما تكون الذات موضوعا لنفسها في عملية النقد"[٤٣].

وقد توصل الجابري إلى حقيقة مهمة بعد أن قام بمقارنة مفهوم العقل في الثقافة اليونانية والأوروبية الحديثة والمعاصرة، وبين مفهوم العقل في الثقافة العربية مفادها أن الأولى قد ارتبطت بإدراك المعرفة فكانت العلاقة بين العقل والطبيعة علاقة مباشرة تؤمن بقدرة العقل على تفسيرها والكشف عن أسرارها في حين ارتبط معنى العقل في الثقافة العربية بالسلوك والأخلاق والقيم والدين أساسا. فنجد أن وظيفة العقل تنحصر في التمييز بين الخير والشر أو بين الضلالة والهداية.

ثالثها تجاوز القراءات السابقة، يُعدّ مشروع الجابري من أبرز المحاولات الفكرية وأكثرها جدية وغورا في أصول العقل العربي ومن أدقها كشفا لبُناه وآلياته، وهو ما جعله يتخلص من النمذجة المسبقة في التعامل مع التراث والتي سيطرت على الفكر العربي لمدة طويلة. فالتيارات الفكرية السابقة تناولت اشكالية التراث من الخارج بعدما تسلّحت بأحكام مجانية تحدّ من العقل القارئ ويؤثر سلبا في المقروء فلم تنتج سوى مغالطات وهو ما عبر عنه الجابري بالايديولوجيا . فالتيارات الفكرية السابقة مثلت غطاء للسياسة كالفكر الليبرالي والفكر القومي وفي هذا الإطار يتنزل نقد الجابري للخطاب السلفي قديمه وحديثه ولأقطابه من محمد عبده إلى سيد قطب وللقراءة الليبرالية ولأقطابها من حسين مروة إلى عبد الله العروي وللخطاب القومي من ساطع الحصري إلى ميشال غفلق.

[٤٣]-الجابري بنية العقل العربي ،ص ٧ .

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

وقد مثلت قراءة الجابري من أبرز المحاولات الجادة والمهمة في تناول التراث لأنها حفرت طبقات الثقافة العربية وفكّكت نظمها المعرفية ولم تدرسه من الخارج، وهو ما يحملنا على إعادة النظر في المسائل الرئيسية في الثقافة العربية ويحثنا على البحث والتأمل في التراث لأن المؤلف من خلال إثارته عديد المشكلات يفتح أمامنا أبواب البحث وإعادة النظر في القراءات السابقة وفي التراث نفسه .

فخلاصة المشروع الدعوة إلى تجاوز حالة التخلف التي يعيشها العرب وتحقيق النهضة المأمولة التي ستنقلهم إلى الغد الأفضل و تسهم في تطورهم وتقدمهم. وهذان الأمران رهينان بإحداث ثورة لا في واقع الجمود المادي الملموس فحسب، بل ثورة في العقل العربي، في البنية الذهنية التي بواسطتها يفكر العرب ويتعاملون بها مع واقعهم الحالي.

إن تحديث العقل العربي مقدمة وشرط ضروري لايجاد الحلول اللازمة لمشكلات العرب المستعصية، فلا يمكن اقتحام المعاصرة وتحقيق النهضة المنشودة دون العمل على تحقيق الحداثة في بنية العقل، يقول الجابري متحدثا عن قراءته "إن عملية النقد المطلوبة أو على الأقل كما نريدها أن تكون تتطلب التحرر من أسار القراءات السائدة واستئناف النظر في معطيات الثقافة العربية الإسلامية بمختلف فروعها دون التقيد بوجهات النظر السائدة"[٤٤].

خاتمة: يعتبر مشروع محمد عابد الجابري الفكري من أهم القراءات التي تناولت التراث لأنه هدف إلى تأسيس نظرية في النقد من خلال نقده للعقل العربي والكشف عن أسسه المعرفية ونقده للخطاب العربي الحديث والمعاصر، إيمانا منه بأهمية العقل ومحوريته في عملية النهوض والتقدم، وهذا الأمر نلحظه في أغلب كتابات المؤلف و العناوين التي اختارها مثل "بنية العقل العربي"، "تكوين العقل العربي"، "العقل الأخلاقي العربي". وقد تمكن الجابري بفضل هذا التوجه من الإسهام في إثراء الفكر النقدي المغربي من خلال قراءته للتراث وحفر طبقاته ونقده الأدوات المعرفية التي

[٤٤]- الجابري ، نقد العقل العربي ص ٧ .

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

تحكمت في إنتاج المعرفة وترويجها رغم حداثة مشروعه. وكان لمؤلفاته قيمة معرفية هامة جمعت بين النقد والفلسفة وجميع المعارف المكونة للثقافة العربية الإسلامية، وأضافت إلى رصيد الموروث الفلسفي المغاربي.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

قائمة المصادر والمراجع

١- ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط١،

٢- أفاية، محمد نور الدين ، في النقد الفلسفي المعاصر مصادره الغربية وتجلياته العربية، بيروت ،مركز دراسات الوحدة العربية ، ط١، ٢٠١٤.

٣- الجابري، محمد عابد ، التراث والحداثة :دراسات ومناقشات، بيروت ،مركز دراسات الوحدة العربية ،١٩٩٩.

٤- الجابري، محمد عابد ، بنية العقل العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، بيروت ،مركز دراسات الوحدة العربية،١٩٩٣.

٥- الجابري، محمد عابد ،نحن والتراث: قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي، بيروت –الدار البيضاء،المركز الثقافي العربي،١٩٩٣.

٦- الجابري، محمد عابد، تكوين العقل العربي ، بيروت ،مركز دراسات الوحدة العربية،٢٠٠٢.

٧- الجوهري، الصحاح في اللغة والعلوم، تقديم عبد الله العلايلي، بيروت،دار الحضارة العربية، الطبعة الأولى، ١٩٧٤.

٨- حسن حنان قصاب ، النقد الأدبي، الموسوعة العربية، دمشق، هيئة الموسوعة العربية برئاسة الجمهورية، ط١، ٢٠٠٨.

٩- الزمخشري، أساس البلاغة، عين مليلة، الجزائر، دار الهدي ، ١٩٩٨.

١٠- زيادة، معن ، الموسوعة العربية، بيروت، معهد الإنماء العربي، ط١، ١٩٨٧.

١١- علواني، عبد الواحد ، مقال "الخطاب والنقد بين الوصاية والتواصل، مجلة كلمة، بيروت، لبنان، مؤسسة الفلاح ، عدد ٢٢، السنة السادسة، ١٩٩٩.

١٢- المسدي، عبد السلام ، الأدب وخطاب النقد، بيروت، لبنان، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط١، ٢٠٠٤.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898